

العنف في الأسرة قراءة أدبية

العنف في الأسرة سلوك مشين يهدف إلى السيطرة على العائلة والإساءة إلى أفرادها. إنه استعمال للقوة بشكل سيء مع تداعيات وخيمة على الضحايا وعلى كل شاهد على هذا العنف. كلنا نعرف جيداً أنّ العنف مرفوضٌ ويعاقب عليه القانون (في معظم الدول) وخاصةً العنف في الأسرة الذي يبرز بعدة أنواع وأشكالٍ لا داعي لتفصيل مسهب لها فهي باتت معروفة جيداً [١]. يخلق هذا العنف جواً من الرعب والخوف والسيطرة يتطور بشكل يصعب السيطرة عليها.

العنف في الأسرة يقيد التواصل، يستنفذ كل طاقة أفرادها ويعيق نموهم الجسدي والعاطفي والاجتماعي. إنه يجعل الأولاد، مع الوقت، يتطلعون إليه وكأنه الطريقة الوحيدة لحل النزاعات أو يتفوقون على ذواتهم فيمو عندهم الشعور بالذنب، باليأس، بالخجل وبالخوف. يستهلك العنف كل طاقات أفراد العائلة بما فيهم المعتدي. فالعنف يفرض تحمّل الذلّ والشتم والملاحظات الهدامة والتعدّيات الجسدية والنفسية. فبدل أن تحول الضحية طاقتها للنمو الذاتي وللفرح والانفتاح، نراها تبقى في حالة تأهب مستمرة كي لا تغضب المعتدي أو تُسيء إليه بكلمة أو بحركة أو بتصرف. وهذا كله يهلك الأشخاص ويجعلهم في حالة حذر دائم لتأمين الضروري للمعتدي. هذه الحالة المرعبة، تُفقد الضحية كل تقدير لذاتها، وتُخدر مشاعرها وأحاسيسها وتُعرقل تفكيرها وتمنع عنها كل تقدم فكري أو اجتماعي أو إنساني أو نفسي.

الأشخاص المعنّفون في العائلة بحاجة إلى إعادة إكتشاف الرغبة بالتكلم وممسيرة مرافقة تعطي الوقت المناسب لإعادة ترميم ما تهدم على جميع المستويات. هذه المرافقة ضرورية لكي تفهم الضحية لماذا بقيت كل هذا الوقت صامتة على هذا الإعتداء؟ لكي تدرك المفاتيح الضرورية لإعادة فهم طرق التواصل واللقاء مع المعتدي إن أمكن؟ لكي تعرف كيف تتصالح مع ذاتها، كيف تستعيد تقديرها لذاتها، كيف تُفعل إرادتها للوقوف من جديد، كيف تثابر وتثق بمن يرافقها ويسير معها؟ لكي تسأل بكل جرأة لماذا لا أثور؟ لماذا أنا عاجزة؟ هل سأبقى في حالة

الخوف ؟ هل يمكنني أن أواجه دون أن أخسر أبي أو أمي أو أفراد عائلتي ؟ هل ما زلت أنا ؟
هل مشاعري طبيعية أم بتُّ بلا مشاعر ؟ إلخ.

إنطلاقاً من هذا الواقع المرير وهذه التساؤلات الدائمة، يمكنني التأكيد من الناحية الأخلاقية
على:

أهمية القانون : العنف مرفوض قطعياً.

مسؤولية المرافق لهذه الحالات : قدرته على أن يجيب على أفعاله كي لا يكون بدوره سبب
عثرة لأفراد العائلة الذين يبحثون عنهم الوثوق به.

إعطاء معنى لما يعاش : العنف بحاجة، في ظلّ الخوف والصراع الداخلي، إلى قراءة متأنية من
الأشخاص المعنيين لوضع الأمور في نصابها. لا يمكن تبرير العنف بأي شكل من الأشكال ولكن
يجب أن ننظر ليس فقط إلى الضحية بل إلى المعتدي أيضاً ومحاولة إنقاذه وفهم ما يحصل
معه لحماية الجميع.

إعادة الإعتبار إلى الحقوق في جو يسود فيه التسلّط والعنف وإنعدام المحاسبة. فالعنف يجب
أن يقابل بالتواصل وبمحاولة حلّ النزاع. من الصعب أن تتحوّل العائلة من مكان نتعلّم فيه
الحب وقيمة الآخر وأهمية الجماعة والمجتمع إلى مكان مضطرب وضائع، إلى مصدر قلق دائم
وألم وغضب شديد تجاه المعتدي وإحتقار له. من الضروري فهم معنى السلطة والأمانة والثقة
والإحترام والكرامة والانتماء.

لمقاربة العنف الأسريّ علينا الإعتداد على ٣ مبادئ:

إحترام الأشخاص وإستقلاليتهم وقدرتهم على أخذ القرارات وضرورة حماية من هم غير
مستقلين وإبعادهم عن الخطر.

الحفاظ على خير الأشخاص والعمل على أن تكون المنافع التي يتلقونها أكبر من المساوئ التي
ممكن أن يقعوا فيها.

العدالة : تأمين ما هو ضروريّ لكل شخص بشكل يضمن كرامته.



علينا أن نفضح العنف في الأسرة بكل ما أوتينا من قوة وهذا منوط بمدى مسؤوليتنا وشجاعتنا. فالإعتراف بوجود العنف في أسرتنا يعني القبول بمكافحته والإلتزام بمسؤولية مواجهته. إنها طريق صعبة ولكنها تستحق العناء. الإنسان هو بطبيعته كائن إجتماعي، فإذا لم يدخل بعلاقة مع الآخر لا يمكنه أن يعيش أو أن يطور مواهبه. كل إنسان لديه كرامة، وهي عطية إلهية، لا يمكن القضاء عليها بالرغم من كل المساوئ التي ممكن أن يقوم بها. العنف في الأسرة هو خطيئة، جريمة ومشكلة إجتماعية جسيمة. إنه يمنع الإنسان من الإجابة على نداء الرب ومن إظهار حب الله له. العنف في الأسرة ليس قصة خاصة تدور أحداثها بين جدران البيت، إنه كارثة إجتماعية وإنسانية لا يمكننا السكوت عنها وترك أولادنا يشهدون على هذا العنف وينمون معتقدين بأنه السلوك الطبيعي والضروري لحل النزاعات.

علينا الإنتباه من أي تسرع في حل أعمال العنف في عائلاتنا. هناك عدّة أسباب يجب التحقق منها قبل إيجاد أي حل أو أخذ أي تدبير. إن دراسة معمّقة للواقع تسمح بمعرفة الأسباب وإيجاد الحلول.

علينا رفض سياسة الصمت التي تؤذي الجميع. فهذا تصرف مشين لا يساعد لا المعتدي ولا الضحية. الصمت يسفّه العنف في الأسرة بنظر الأجيال الطالعة، يخون الضحايا ويتركهم في هشاشتهم، يقوي المعتدي ويهشم المجتمع والقانون. العنف في الأسرة يتطلّب محاسبة المعتدي ووضعه أمام مسؤولياته ومساعدته على مواجهة نتائج عمله وإتخاذ الضروري لتغيير تصرفاته ومعالجة ما يمكن معالجته.

العنف في الأسرة يفرض العمل جاهداً لإيجاد المراكز ولتأسيس الجمعيات الأهلية لكي تؤازر الدولة في عنايتها بالضحايا وبالمعتدين وتطالب بالحقوق وبسبل حماية الأطفال والنساء والرجال ولكي تنشئ الأشخاص المعنيين بالمتابعة لمعرفة كل علامات العنف الظاهرة والمستترة في الأسرة.

إنّ مواجهة العنف في العائلة يتطلّب جواً أخوياً بين كلّ الأفرقاء المعنيين بالمعالجة ورفضاً لأيّ تبرير. علينا أن نتكلّم في كنائسنا عن هذا الموضوع بكلّ صراحة وبدون موارد من أجل تشجيع الضحايا على الكلام وطلب المساعدة كي لا يبقوا عائشين في الألم والوحدة والخجل. أمّا المعتدون فهم بحاجة إلى عناية خاصة. من الضروري في حالات معينة إبعادهم عن الضحايا كي لا يستمروا بجرائمهم. بعد قراءة معمّقة للواقع المعاش، يمكن للأشخاص المرافقين أن يحكموا بضرورة تحمل المعتدي مسؤولية فعلته والتزامه بضرورة حلّ مسألة العنف والتعبير عن أسفه وندمه على فعلته.

ختاماً: لا يمكن لأحد أن يستعمل الكتاب المقدّس ليبرّر فعلته. لا شيء في الكتاب يسمح بالعنف بشتى أشكاله! العنف في الأسرة هو ضدّ تعاليم المسيح. إنّ التعاون بين كلّ الأفرقاء ضروري لتفادي هذه الآفة ولإبقاء قيمة حضور الله في الرجال والنساء والأولاد المخلوقين على صورته. من الضروري تضافر جهود كلّ أصحاب الإيرادات الصالحة لوضع حدّ لهذه القوّة المدمرة ألا وهي العنف ومساندة الأشخاص.

- [1] - العنف الجسدي : إستعمال القوّة عمداً مؤلّدة آلاماً جسديّة أو جروحاً دائمة. ضرب، صفع، ركل، لكم، إستعمال آلاتٍ حادّة أو سلاح، حرق، رمي أشياء على الشخص ، سجن، إلخ. العنف الجنسي. العنف النفسي ويشمل التهديدات، الصراخ، الإنتقاد الدائم، منع الآخر من رؤية أفراد عائلته، الإستهزاء، منع الآخر من عيش حياته الروحية، إلخ. الإستغلال المادي : الإستيلاء على الممتلكات أو المال بدون إذن، إجبار الآخر على إمضاء مستندات، على بيع ممتلكات، إلخ. الإهمال : عدم الإعتناء بالآخر المؤتمن على راحته وعلى تأمين حاجاته الأساسية : الملابس والمأكل والحاجات الصحيّة والسلامة العامة، إلخ.